

منهج الإمام علي (ع) في تصحيح مسار انحراف الدولة الإسلامية

بحث مشارك في مؤتمر الغدير العالمي السنوي الثالث

الذي تقيمه العتبة العلوية المقدسة في - / ١٠ / ٢٠١٤ بمناسبة عيد الغدير

الباحثة : م . د . كواكب باقر الفاضلي

كلية التربية / جامعة الكوفة

المقدمة

يمر العالم العربي والإسلامي بحملة تغيير للحكام واسقاط حكوماتهم ، فأصبحت هذه الدول تعيش في فوضى غير متناهية بل تزداد الفوضى والعنف يوما بعد آخر ، وفي كل يوم تبرز الى السطح ظواهر عنف وقتل وتخريب في هذه الدول ، في الوقت الذي لدى المنظومة الإسلامية تراث زاخر مليء بالتجربة الحية والتطبيقية التي يمكن لأي حكومة أن تستفيد منها في تقويم مسارها وإغنائه بالمصاديق التي تعد أنموذجا يمكن أن يعيد الإنسان تطبيقه لتستقيم تشريعاته الجديدة في إصلاح ما أفسدته الحكومات السابقة ، وعلى كل حكومة تحاول العبور بشعبها إلى برّ الأمان أن تأخذ من تعاليم الدين الحنيف وأن تتخذ من القرآن وسنة الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) دستورها الذي تستمد منه تشريعاتها ، فضلا عن أن تستفيد من تجربة الدولة العلوية حصرا في تصحيح مسار الحكومات الفاسدة وإصلاح ما أفسدته في عقود بفترة زمنية قصيرة والوصول إلى أقصى غايات التنمية للدولة وشعبها بكل أطيافه وفئاته .

طرحت هذه المشكلة لحث العالم الإسلامي على الاستفادة من تجربة الأمة الإسلامية مع الإمام علي (ع) لنهني كثير من مشاكلنا ، ونختصر الكثير من الزمن ، كل هذا تناولناه في بحثنا الذي نقدمه بثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول :- مسار انحراف الدولة الإسلامية بعد الرسول (ص)

المبحث الثاني:مميزات دولة الامام علي "ع" لتحديد معالم الاصطلاح

المبحث الثالث : (السيبل الإجرائية للإصلاح في دولة الامام "ع"

آملين من الله العليّ القدير أن يجعله من أعمالنا التي نقدمها حباً لإمامنا وتجديداً لولائنا وعهدنا له ،ونشكر القائمين على هذا المؤتمر الكبير داعين الله أن يسدّد خطاهم ويكتب له النجاح والتوفيق في تحقيق أهدافه .

د . كواكب باقر الفاضلي

جامعة الكوفة / النجف الأشرف

المبحث الأول :- مسار انحراف الدولة الإسلامية بعد الرسول (ص)

لم تظهر حكومة يزيد بن معاوية الذي نعته التاريخ بكل النعوت السيئة لمسلم فضلاً عن كونه لحاكم دولة إسلامية ، بل كان لا بد من وجود م مهدون لهذا الرجل ليصبح حاكماً يقتل ذرية رسول الله بجيش جرار لا أول له ولا آخر ، فانقلاب الأمة الإسلامية وانحرافها عن جادة رسول الله لم يكن وليد يوم وليلة ، بل هو عمل ممنهج ومخطط له وتنفيذه قد مرّ بمراحل نوجزها ، بمطالب ثلاث ، هي :

المطلب الأول :- مرحلة التمهيد :-

بعد أن توفي الرسول (ﷺ) كان لا بد من وجود قائد ومرشد وقاضي للمسلمين ومصدر لتطبيق كل قوانين الدولة الإسلامية ، ولما اتصلت الأمة عن بيعة الإمام علي (عليه السلام) بعد أن منعت الرسول من كتابة وصيته التي أراد فيها أن لا تضل الأمة من بعده ، مدعين أن (قد غلب عليه المرض ، حسبنا كتاب الله) ^(١) ، وكان الإسلام دولة ينتمي شعبها إلى القبائل العربية التي دخل أغلبها تحت حد السيف بما فيها قريش ، والإسلام لم يكن مترسحاً ؛ لذا كان الأمر بأن يلجأ المسلمون إلى الاجتماع فيما بينهم على الطريقة التي عرفوها قبل الإسلام ويختاروا قائدهم الجديد ، ومن الطبيعي كانت كل قبيلة ترى أن لها حقاً في زعامة المسلمين ، وبعد اختلاف طويل حسم عمر بن الخطاب الأمر بمبايعته لأبي بكر - وحادثة السقيفة معروفة - ^(٢) ، إذ لم يكن العرب أو المسلمون لهم عهد وسابق حكم في مسألة البيعة والمبايعة ، بحيث يبايع نفر ثم يتبعه الحاضرون في بلد الإمام ، من دون أن يتوقف الأمر على الغائبين كي يصل أصحاب المناطق البعيدة إلى مكان البيعة - وهم الأغلبية - لكن أصبحت هذه من النظريات في تولي السلطة وأعطيت لها الشرعية لكون أول من عمل بها هم الصحابة والصحابة بحسب نظرية عدالة الصحابة يؤخذ بأثرهم .

(١) ظ : الملال والنحل : ابو الفتوح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ،المكتبة العصرية - بيروت ، ٢٠٠٣ ،

ص ١٧ .

(٢) ظ : م.ن ، ص ١٨ .

وقد أدى بنو أمية دوراً في تأجيج الصراع بين الحكومة الجديدة وبين بني هاشم ، الذين يرون أحقيتهم في تولي أمر المسلمين ؛ باعتبار ما أراده رسول الله من أحاديثه ووصيته في حجة الوداع ، فقد ذهب معاوية إلى الإمام علي (عليه السلام) وقال له " ابسط يدك أبايعك فو الله لو شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً " (٣) ، ومن المؤكد هذا لم يكن حباً في علي (عليه السلام)، بل لأجل زرع الفتنة ومن هنا نجد أن دولة الإسلام لم تبدأ بداية موفقة ، فهي قد خالفت القرآن والسنة في أمور :-

أ- مخالفة الشورى التي وردت في القرآن بشكلها الصحيح .

ب- مخالفة رغبة وأمر رسول الله في تعيين خلفه على أمور المسلمين .

ج- قتال المسلمين فيما بينهم ، وذلك عند مقاتلة القبائل التي رفضت أن تعطي الزكاة ، والأحاديث تقول أهم أعمال يزيد الإرهابية والتي سار عليها الأمويون من خلفه هي ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار)) ، وحديث ((كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه)) ، ويضيف د. كامل النجار أمراً آخر يراه للقرآن ألا وهو حرب المرتدين وإدخالهم عنوة في الإسلام بعد أن تركوه ، والقرآن يقول ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٤) وكذلك يقول ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) وأيضاً ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (٦) (٧) ولأننا لسنا في معرض الخوض في الردة وأحكامها فقط نكتفي بعرض هذا الرأي للدكتور فهو يرى أن ليس هنالك ما يخول لأبي بكر حرب المرتدين وهكذا فقد بدأت الدولة الإسلامية أول عهدها بالمخالفة للتشريع وباستعمال العنف المسلح أما في تولية عمر للسلطة فقد كان بالعهد من قبل الخليفة الأول للثاني وهو أمر يبعث على التساؤل كيف يجيز المسلمون لأنفسهم ما منعه على الرسول ، فأبو بكر قد استخلف عمر دون معارضة من قبل المسلمين ، في حين أن الرسول عندما أراد أن يوصي وهو في فراش الموت ، قالوا : " حسبنا كتاب الله " .

إن الوصول للسلطة التي حصل عليها عمر لم يكن شرعياً أيضاً ، فمهما حاولنا أن نبين أن الأمر كان شورى أو بحسب ما يأمر به الشرع ، فهو لم يكن كذلك ، لأن الشورى لا تعني استشارة رجلين في المسجد يمثلان نفسيهما ، ولا يمثلان كل الأمة الإسلامية ، لأنهم لم يستشرهم أحد .

(٣) م.ن : ص ١٩ .

(٤) البقرة : ٢٥٦ .

(٥) يونس : ٩٩ .

(٦) الكهف : ٢٩ .

(٧) ظ : الدولة الإسلامية بين النظرية والتطبيق : د. كامل النجار ، تالة للطباعة والنشر ، طرابلس ، ط ١ -

٢٠٠٧ ، ص ٢١ .

وكذلك اعتبر علماء السنة بأن هذه تعد طريقة لاختيار الخليفة " طريقة العهد من السابق إلى اللاحق " ، ويرى الدكتور كامل النجار بأن هذا كان نهاية الشورى قبل أن تحط جذورها في المجتمع الإسلامي الجديد .^(٨) أما في الطريقة التي تمت فيها الولاية لعثمان ، فهي بتخطيط من عمر أيضا ، في اختيار واحد من ستة مرشحين ، وهي الطريقة التي قال عنها الإمام علي (عليه السلام) عندما خرج إلى المسجد ﴿ خدعة وأيما خدعة ﴾ وقال ﴿ ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾^(٩)

وأجاز من علمائهم الطريقة الجديدة أيضا لاختيار خليفتهم كقاعدة أصولية للحكم ، وهي أن يعين الخليفة عددا من أهل الرأي والعلم فيختارون خليفة منهم .

ومما لا شك فيه أن هذه الطريقة تدخل فيها المحسوبية والفساد ، وقد اتهمت من أول ممارسة لعلاقة عبد الرحمن بن عوف بعثمان بن عفان ، ومن هنا انطلق فساد الحكومة الجديدة في تولية عثمان بن عفان أهله وأقاربه في المراكز المهمة للحكومة رغم كونهم غير مؤهلين وليس لديهم الكفاءة والنزاهة لهذه المناصب .

٢ - منهج الإنحراف عن مسار الدولة الإسلامية :

يمكن أن نعد عهد الخليفة عثمان أول مرحلة تم التمهيد فيها لانطلاق الحكم الأموي وممارسة الإرهاب والعنف من قبل الدولة تجاه أبناء الأمة الإسلامية ، فقد تميزت هذه الفترة بالخرقات الكثيرة التي سار عليها الخليفين من قبله ، فعلى رغم كل ما ذكرناه ، فقد كان هنالك ثمة عدل في عصر الخلفين السابقتين .

ويمكن أن نحصي بعض من الأعمال التي قام بها عثمان والتي يمكن أن تعتبر أول بوادر التمهيد لإرهاب الدولة الذي سجل انطلاقة في العهد الأموي واكتمل نضجه في العهد العباسي :^(١٠)

١- أن أول عمل قام به عثمان هو ضعفه تجاه أقاربه ، ومنها تعيينه لأقاربه ولاية على الأمصار ثم ترك لهم الحبل على الغارب يفعلون ما يشاءون دون خوف من حساب الخليفة لهم ،

(٨) الدولة الإسلامية : النجار ص ٢٢ .

(٩) شرح أصول الكافي : المازندراني ٢١ / ٤٦٨ .

(١٠) ظ : للتفصيل : ارهاب الدولة في الفكر الإسلامي ، للباحثة ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الفقه /

جامعة الكوفة ، ٢٠١١ ، ص وما بعدها

ومن ذلك على سبيل المثال تعيين أخيه من أمه الوليد بن عقبة واليا على الكوفة ، والذي وصلت به درجة الفسق أن صلى بالناس في مسجد الكوفة يوما وهو سكران .^(١١)

٢- منح أقاربه من بيت مال المسلمين من دون وجه حق ، وحرمان المستحقين لها ، ففي الوقت الذي كان يوزع بلا استحقاق ويهب بني الحكم - من بني أمية - من أقاربه ، وأعطى مروان خمس أفريقية ، كان يمنع العطاء عن عمار بن ياسر رغم أنوف المسلمين ، حتى قال عمار " أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك " ^(١٢) ، واعترض عليه الإمام علي (عليه السلام) فقال ﴿ لا إذن تُمنع ويُحال بينك وبينه ﴾ ^(١٣) .

٣- دفاعه عن الأغنياء وحماية مصالحهم ، فقد وصل إليه أن أبا ذر الغفاري طالب بتوزيع مال الأغنياء على الفقراء ويقرأ في الشوارع ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(١٤) ، فنهاه عن ذلك ، فقال أبو ذر " أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله " ^(١٥) .

٤- أوامر النفي : فقد كان عثمان إذا غضب عن أحد نفاه ، وكان أول من نفاه هو أبا ذر الغفاري إلى منطقة تدعى الريدة ، وأمر بأن لا يشيعه أحد فخرج الإمام علي وولديه الحسن والحسين (عليهم السلام) ، وأخوه عقيل وابن أخيه عبد الله بن جعفر ، وكان معهم عمار بن ياسر ، ولما وصل الخبر إلى عثمان غضب على عمار وأمر بنفيه أيضا .^(١٦) و يروى أنه قد نفى أبا الدرداء من الشام أيضا .

٥- ضربه لعمار بن ياسر حتى فتق أمعائه ، لما كان بينه وبين عباس بن عتبة من خلاف ، وضرب ابن مسعود حتى كسر أضلعه ومنعه من عطائه عندما احتج ابن مسعود على حرق المصاحف .

٦- جعله مروان بن الحكم من مستشاريه ، والذي له دور كبير في إفساد خلافة عثمان، فقد كان مستشاره المقرب ، وكان يشير عليه بما يخدم بني أمية دون غيرهم ، وكان أيضا يريد أن يكون الحكم لبني أمية دون سواهم .

(١١) ظ : الإصابة في معرفة الصحابة : الذهبي ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار

الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ - ١٤١٥ هـ ، ٤ / ٣٩١ .

(١٢) تاريخ الطبري ٢ / ٦٦١ .

(١٣) ظ : الفتنة الكبرى : طه حسين / ١ / ١٦٧ .

(١٤) التوبة : ٣٤ .

(١٥) الفتنة الكبرى : ١ / ١٦٣ .

(١٦) م . ن : ١ / ١٦٥ وظ : أهل البيت : عبد الحميد السحار ص ٦٨ .

٧- قضية حرق المصاحف بحجة جمع المصاحف .

٨- أبطل سنة القصر في الصلاة .

٩- لم يقتل عبد الله بن عمر بالهرمزان الذي أعطى السكين لأبي لؤلؤة وحرضه على قتل عمر . هذه هي بداية تأسيس الإرهاب التي انطلقت جذوتها على يد بني أمية .

المطلب الثالث : الأسس التي قامت عليها دولة عثمان تمهيدا للحكم الأموي :

وعلى هذا التمهيد قامت دولة بني أمية بقيادة معاوية بن أبي سفيان ، وخلال حكم هذه الدولة تسارعت الخطى نحو تأسيس دولة قائمة على الإرهاب الذي بدأت و انتهت به . وهذا ما جعل تمهيد عثمان لتأسيس دولة قائمة على عدة أسس والتي مهدت لنحراف الدولة عن مسارها ، من هذه الأسس : (١٧)

١ - العصبية والقبلية الجاهلية :

مهد عثمان بن عفان إلى بني أمية للجلوس على دكة الحكم ، فعثمان بن عفان ، هو ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، فهو ابن أخ الحكم ، وابن عم لأبي سفيان ، فالخلافة الأموية ، مثلما عبر عنها الدكتور محمد بحر العلوم " فالأسرة الأموية تسلفت مدارج الحكم على أكتاف المسلمين بواسطة عثمان " (١٨) ، رغم أن بوادر الرغبة الجامحة والتطلع إلى الملك عند أبي سفيان قبل هذا بكثير ، فقد كتب لولده معاوية الذي ولاه عمر بن الخطاب على بلاد الشام " يا بني أن هؤلاء الرهط المهاجرين سبقونا وتأخرنا ، فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله ، وقصر بنا تأخيرنا ، فصاروا قادة وسادة ، وصرنا أتباعا وقد ولوك جسيما من أمورهم ، فلا تخالفهم ، فأئك تجري إلى أمر ، فنافس ، فأن بلغته أورثته أعقابك " (١٩) ، و روي عن أبي سفيان بأنه دخل على الخليفة عثمان - وكان قد كف بصره - فقال " هل علينا من عين ؟ قال : لا ، فقال : يا عثمان أن الأمر أمر عالمية ، والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بني أمية " (٢٠) . وفي رواية أخرى مخاطبا أسرته " يا معشر بني أمية ، أن الخلافة قد صارت في تيم وعدي ، حتى طمعت

(١٧) ظ : ارهاب الدولة في الفكر الإسلامي : ص وما بعدها

(١٨) لمحات من الصراع السياسي في الإسلام العهد الأموي : د. محمد بحر العلوم ، دار الزهراء - بيروت ، ط ١ - ٢٠٠٧ ، ص ٢٥ .

(١٩) البداية والنهاية : ابن كثير طبعة - بيروت ، ط ٥ - ١٩٨٥ ، ٨ / ١١٨ .

(٢٠) تهذيب تاريخ دمشق : ابن عساكر ، ٦ / ٤٠٧ .

فيها ، وقد صارت إليكم فتلقفوها تلقف الصبي للكرة ، فو الله ما من جنة ولا نار " (٢١) ، ومثل هذه الروايات كثير جدا تتحدث عن استلام السلطة والتمسك بها وجعلها كالكرة بين أيدي الصبية .

وهذا أن دل فإنما يدل على أن رغبة بني أمية في تولي السلطة قائمة لكنها وضعت أسسها عند تولي عثمان الخلافة . وإذا كان هذا حال بني أبي سفيان ، فحال المروانيين لا يختلف عنه ، فالحكم بن أبي العاص وولده مروان قد عادا إلى المدينة باجتهاد الخليفة عثمان بعد أن طردهما رسول الله (ﷺ) لينعما بالمكانة والمنزلة في أوساط الحكم .

وهكذا كانت دولة بني أمية دولة قائمة في أسسها على العصبية ، وهذا ما قال به ابن خلدون في تاريخه " ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا ، إنما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها ، وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستقل العصبية وتدعو طبيعة الملك " (٢٢) .

وفضلا عن كونها دولة قومية فهي دولة طبقية فقد كانت تضع رعاياها في درجات متفاوتة ، فقريش في حسابها أفضل من بقية العرب ، والعرب أفضل من الموالي ، والموالي أفضل من أهل الذمة ، وأهل الذمة أفضل من الكفار الذين مصيرهم جهنم ! (٢٣) .

٢ - علاقة مقتل عثمان بالدولة الأموية :

أن لمعاوية تاريخ حافل في إيذاء الرسول (ﷺ) والرسالة الإسلامية ، ولم يكن هناك من أناس قد لعنوا على لسان النبي مثل آل أبي سفيان ، ومن هذه المواقف قول الرسول (ﷺ) عندما رأى معاوية بن أبي سفيان يقود أخاه يزيد لعن الله القائد والمقود (٢٤) ، وتفسيره الشجرة الملعونة في القرآن بأنها بني أمية ، ورأس الفئة الباغية ، وغيرها .. مما يبرهن على أن تاريخ بني أمية لم يكن مؤهلا لهم كي يستلموا السلطة والحكم ، ولهذا فقد تمسكوا بأمر واحد يصب في خدمتهم ، وهو المطالبة بدم عثمان ، أي لما لم تكن لهم منقبة اخترعوا لهم عذرا .

قال المستشرق الألماني فلهاوزن " كان الثأر لمقتل عثمان هو الأساس الذي بنى عليه معاوية حقه في وراثة الخلافة ، أما بأي معنى قام الثأر لعثمان ، فهو يتجلى في أنه من أجل ذلك اتحد مع عمرو بن العاص ألب على عثمان أخبث تأليب ولم تكن التقوى ولا البر بعثمان باعنا لمعاوية "

(٢١) الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني ، ٦ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٢٢) تاريخ ابن خلدون : مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ١ - ١٩٧١ ، ٢ / ١٨٨ .

(٢٣) مهزلة العقل البشري : د : علي الوردي ، ط ، ص ٦٢ .

(٢) ط : طبقات ابن سعد : ٧ / ٧٨ و ط : الإصابة : ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٤

(٢٥) . ولكن معاوية الذي كان ينادي بالثأر لعثمان ، لما استتب الأمر له وأصبح خليفة للمسلمين وتدين له بلاد المسلمين كلها بالطاعة ، لم يطالب بإلقاء القبض على من قتل عثمان ، ويمكن القول أن معاوية لم يكن يهتم لمن قتل عثمان ، وإنما استعمل مقتله وسيلة لاغتصاب الخلافة ، إذ أنه عندما طالبته ابنة عثمان بأخذ دم أبيها من قاتليه ، قال لها : " يا ابنة أخي .. أن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا ، وأظهرنا لهم حلما تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى أنصاره ، فأن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا أم لنا ، ولأن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين " (٢٦) .

وهكذا فمعاوية الذي حمل لقب الخليفة في بيعة خاصة له بالقدس سنة ٣٨ هـ وفي الوقت الذي كان الإمام علي (عليه السلام) حيا ، فلم يكن هنالك من اعتراف بخلافته سوى الشام التي أحكم سيطرته عليها ، لكنه بحجة مقتل عثمان (والذي يذهب أغلب المؤرخين إلى أنه تأمر على قتله) كي تصبح له الحجة في الثأر ليقوم بمحاربة الإمام علي (عليه السلام) ويستولي على الخلافة .

ج - ثراء الدولة الأموية وظهور التفاوت الطبقي :

إن من أهم مميزات خلافة بني أمية هو ظهور الطبقة والتي أسفرت عن مفهومها الكامل على إثر التحولات الاجتماعية الناتجة عن حركة الفتوحات وما ساقته إلى أبناء الأمة الإسلامية وحكومتها من أموال تفوق الحصر ، فكان نظام التوزيع غير العادل لهذه الثروات قد جرّ إلى ظهور الطبقة ، مما حدا بأن يستقيل أكثر من واحد ممن يوليهم عثمان على خزانة بيت المال ، وذلك عند رفض هؤلاء إعطاء أقرباء الخليفة أموالا ومبالغ ضخمة (٢٧) وشراء الأراضي والأملاك في أرض العراق من هؤلاء الأثرياء ، ومنهم طلحة - مثلا - الذي باع كل ما كان يملك في خيبر لأهل الحجاز واشترى من أهل الحجاز أراضيهم في العراق ، وهكذا فعل كبار الصحابة ، مما أدى إلى ظهور الطبقة الأرستقراطية في الأراضي والأموال (٢٨) وكانت غلته وحده في العراق في اليوم ألف درهم، وترك خلفه ثلاثين درهما من الأموال (٢٩) .

ومنذ خلافة عثمان أصبح عدد من الصحابة من أغنى أغنياء العرب ، إذ يذكر ابن سعد في طبقاته أن ثروة الزبير بن العوام بلغت اثنين وخمسين مليون درهما من النقد ، وله أملاك في مصر والكوفة والبصرة ، وكان لعثمان يوم مقتله عند خازنه ثلاثون مليون درهم ومائة وخمسين

(٢٥) تاريخ الدولة الإسلامية : يوليوس فلهاوزن ط ١٩٥٨ ، ص ١٢٩ .

(٢٦) عبقرية الإمام : عباس محمود العقاد ، ص ٩٠-٩١ .

(٢٧) ظ : الفتنة الكبرى : ٩٤/١ .

(٢٨) ظ : م . ن : ١ / ١٠٦ و ظ : تاريخ الطبري : ٢٨٠/٤-٢٨١ .

(٢٩) قاموس التراث : هادي العلوي ، الأهالي - دمشق ، ط ٣ - ١٩٨٨ ، ص ٢٤ .

ألف دينار . وترك عبد الرحمن بن عوف ألف بغير وثلاثة آلاف شاة ومائة حصان ومزرعة وذهب مسبوك في سبائك (٣٠) . و رغم ما يظهر من مبالغة في هذه الأرقام ، إلا أنها تعكس مدى التدهور الاقتصادي للبلد من جهة ومن جهة أخرى ظهور طبقة ذات ثراء لم يسبق له مثيل حتى لو كانت هذه الأرقام هي أقل مما تذكره كتب التاريخ ، لأن هذه الصورة جديدة على واقع المشهد الإسلامي ؛ لذلك تتناقله المؤرخون بكل ما رافقه من أحداث وتفصيلات .

ونجد أن هناك في الطرف الآخر عبيداً وفقراء وموالي ومحرومين ، والذي كان إيذاناً بقيام فوارق طبقية كبيرة بين فئات المجتمع ، وقد عملت السلطة الأموية على إغداق الأموال على المقربين والمناصرين لها والحصار على المعارضين ، فكان هذا من السمات البارزة والواضحة لهذه الدولة .

المبحث الثاني: مميزات دولة الامام علي "ع" لتحديد معالم الاصطلاح

يتميز النهج العلوي بأنه مرحلة مليئة بالتناقضات ما بين الحاكم والرعية فالحاكم يدعو إلى رفاهية الناس وتحقيق العدالة ونشر الحريات والمساواة وتعليمهم كل الحقوق التي يجب أن يتمتعوا بها، ولكن رعيته يلجؤون على من سلب حقهم وقفون بوجه الامام (ع) ويرفعون معهم السيف ، ولهذا يبقى الامام (ع) متوسطا في منهجه عادلا في مكة معتدلا في سيرته ، سائرا بسيرة أخيه رسول الله (ص)

لا بد للناس من منقذ بعد كل الظلام الذي عاشوه في آيات حكم عثمان ، وحلم عثمان الذي كان بمهد للتأسيس لدولة بني امية لو لا ان جاء علي (ع) ليعيد سير الدولة الإسلامية إلى جادة الصواب التي انحرفت عنها .

في هذا المبحث سنتناول اهم مميزات الدولة عند الامام علي (ع) بوضعها دولة اصلاح وتقويم ، فلا نتطرق لكل المميزات التي تحلت بها دولة الامام (ع) في كل مجالاتها ، بل نقتصر على ما يدور حوله البحث

المطلب الأول : انها امتداد لدولة الرسول (ص)

تعد دولة الرسول (ص) هي الدولة الأولى للإسلام ومنها انبثقت اول المفاهيم الإسلامية للدولة والحضارة والتعاليم الإلهية التطبيقية على الأرض لمفهوم الدولة ، فكان القائد هو الرسول الكريم (ص) والدستور إليها وانطلقت الرحلة من المدينة لتشمل العالم من أقصاه إلى أقصاه .

والميزة التي تتميز بها دولة الامام علي (ع) هي انها امتداد لتلك الدولة وليس هناك من يدعي انه يمكنه ان يكون امتدادا لرسول الله سوى من كان مؤمنا بها من أدى يوم وحمل اعباءها ودافع عنها وهو الامام (ع) في حجة الوداع في غدير خم بأن عليا هو خليفته وهو الذي سيقود الآية بعده ، وهذا هو المنطق العقلي الصحيح ، فلو حدث غير هذا ، كانت الآية ستصل إلى ما وصلت إليه على عهد عثمان ومعاوية ومن بعدهم ، وهذا ما حصده المسجون من جراء نكثهم ببيعتهم وعهدهم لرسول الله (ص) ولوليه علي (ع) فما حصل لهم فيما بعد هو ما خشى منه الرسول الكريم (ص)

فإن الرسول الأعظم (ص) يعلم ان الآية لم تصل إلى مرحلة من النضج السياسي والعقدي لكي تختار من يحكمها بحلم الله وشرع رسوله (ص) ، بل ان القبلية والعصبية والخوف من التسلفي وغيرها من الصفات هي التي ستحكم ولهذا ما ترك للآية من حجة في اختيار من سيكمل النهج بعده ، فلا يتجرأ احد بعدها ليقول إلى الرسول قد تركنا بلا وآل بعده ولو تنفذ ما أراد رسول الله (ص) لأستمر الامر فيما بعد لعلي وولده (عليهم السلام)^(٣١) ولهذا نقول من المنطقي ان يكون هذا الانحراف الذي حصل في مسار الدولة الإسلامية ، ولعده هذا السير إلى جادة الصواب لابد ان يكون من يعيدها هو الامام علي (ع) دون غيره ، لأنه امتداد الرسالة والعصمة التي لا تكون إلا في علي وولده (عليهم السلام) ويقول الامام علي (ع) " ،حن اهل بيت لا يقاس بنا احد" ^(٣٢) وقول الرسول (ص) "

(٣١) ينظر ، مصادر رواية حديث الغدير ، فخرها احمد من تسع عشرة طريقا المسند ٨٤/١ ، ٨٨،١١٨ والخصائص : للانساني من نحو عشرين طريقا ، وانظر ، والبداية والنهاية من نحو أربعين طريقا ٢٢٩/٥ - ٢٣٢ و ٣٨٣/٧ - ٣٨٥ وغيرها من كتبه الحديث وكتبه التاريخ وكتبت التفسير مثل روح المعاني : للآلوسي ١٩٥/٦ وما بعدها .

(٣٢) كنز العمال : ٢١٨/٦ .

" اني تارك فيكم الثقيلين ما ان تمسكتم به لن تصلوا بعدي : كتاب الله ، وعترتي اهل بيتي
" (٣٣)

وتستمد كل الدول تشريعاتها من مصادرها الدستورية الأولية التي تضعها والدولة الإسلامية منها فنحن قد اختار لنا الله ان يكون مصدر التشريع لنا هو القرآن والسنة ، والسنة الشريفة احد اهم اعمدها وأركانها هو ما جاء به المعصوم من قول وفعل وتقرير ، ولم يتسن للامة الإسلامية ان تستمد تشريعاتها من معصوم بعد النبي إلا الامام علي (ع) ، وهذا ما يجعل السنة مستمرة قائمة نستلهم من قيمها ومعانيها واحكامها دروسا وقوانين تسيير بها حكوماتنا فيما بعد .

وجراء ما وصلت إليه الامة الإسلامية من حال أصبحت قيادة الامة وولاية الامام (ع) عليها قيمة وضرورة لا خيار بين متعددين فمن يطلبون الولاية على الامة والرئاسة على المسلمين والتسلط على رقابها ومقدراتها ولكنه لم يطالب بها خوفا على المسلمين (لأُسَلِمَنَّ ما سَلِمَتْ امر المسلمين) ، لكن هذه المرة الناس هم الذين طلبوا منه فعندما تراجع قوله (ع) " إن الله يقول (أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) (٣٤) والله لا تنقلب على اعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن مات او قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى اموت ، والله اني لأخوه ووليه وأبن عمه ووارث علمه ، فمن احق به مني " (٣٥) ولهذا فالأمام يعلم ان الامة لا بد لها ان ترجع إليه وتتوسل إليه بأن يقود بهم إلى سيرة أخيه وأبن عمه محمد (ص) .

المطلب الثاني : شمولية الإسلام

بحثنا في المبحث الأول ما وصل إليه المسلمون من ظلم وجور نتيجة لفضهم بيعة الرسول (ص) في حج الوداع ، والتي حذرهم منها الامام علي (ع) بقوله " ألا وإن بليتكم قد عادت يوم بعث الله نبيه ، والذي بعثه بالحق ، لتببلن بلبلةً ، ولتغريبن غريلةً ، ولتساطن سوط القدر ، حتى يعود اسفلكم أعلاك ، واعلاك اسفلكم ، وليسبقن السابقون

(٣٣) ط: مصادر حديث الغدير .

(٣٤) آل عمران / ١٤٤ .

(٣٥) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٦ ومجمع الزوائد ٩ / ١٣٤ .

كانوا قصرُوا ، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ،
ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم " (٣٦)

إن ما حذرهم منه الامام قد حصل جميعه ، وهذا يؤدي إلى الاستنتاج ان الامام قد استلم
دولة منهارة في كل مناحيها وكل مرافقها ، فهي قد انحرفت في مجالاتها الفكرية والعقدية
والدينية والإنسانية ، مثل ان تتحرف مفي مجال السياسة والإدارة والقضاء والجيش ، الدولة
هنا تحتاج إلى نورة حقيقية لتصل الامة إلى إمكانية ان تستمر ، فما كان من الامام (ع)
إلا ان يقدم على الإصلاح الشامل والكامل لكل جوانب الدولة الإسلامية ، ولذلك عندما
خطب فيهم في المسجد بين ذلك بقوله " اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة
في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك . ونظهر
الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك " (٣٧) .

وفي ذكرنا الشمولية الإصلاح عند الامام لابد ان نبين ان الدولة في عهد الامام علي
(ع) لم تكن تسير بشكل سليم وسلس دون مقومات او عما قيل بل كانت المعارضة السياسية
والفكرية قد أدت إلى الخوض في حروب كثيرة ، ولكن رغم هذه الحروب المتعددة كانت
هنالك مبادئ يومن لها في إدارة الدولة الإسلامية وتعليم الامة كيف تسير بشؤونها في كل
الظروف ولا تجعل من الحروب والمعارضين ذريعة او حجة لوقف العمل في بناء الدولة
والسير بالدولة بنزاهة ومحاربة كل مفاصل الفساد فيه نحن نرى الدول بقاني ما تعاني
عندما تقام ثورة على نظام فاسد بحيث لا يمكنها ان تسير إلى امام بسبب الفساد الذي
ينحز في كيانها الإداري والسياسي . إلا ان الامام قد عمل على اصلاح الدولة والنهضة بها
بشكل افقي دون ان يترك فيها مجال للفساد .

المطلب الثالث: العدالة في الإصلاح

من ابرز صفات الامام علي (ع) العدالة وهي الصفة للزمة التي إذا ذكر فيها الامام (ع)
تذكر عدالته وإن ذكرت العدالة فتشخص الابصار عن تتجسد فيه وهو الامام (ع) ، ولذلك
كان في هذه المرحلة من مراحل الدولة الإسلامية لا بد من وجود حاكم عادل دقيق في

(٣٦) نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ٤٧/١ .

(٣٧) دراسات في نهج البلاغة : محمد مهدي شمس الدين ، ص ٢٦٠ .

تحري الأمور على أدق تفاصيلها وما آلت إليه من زمن رسول الله إلى عهده وحكمه ؛ لأن الحلال والحرام قد اختلطا وضاعت الحقوق وظلم كثير من الناس ، وأول ما طلبه الناس في بيعته هو إعادة تلك الحقوق المغتصبة ، فما كان من الامام إلا ان تصدى لهذا الامر ولكن بعدالة علي المعهودة ، ونذكر منال على ذلك جدير بالتوقف عنده.

عندما طلب من الامام إعادة الحقوق إلى أصحابها قال (ألا إن كل قطيعة اقتطعها عثمان ، وكل ما أعطاه من مال الله فهو مردود إلى بيت المال ، فإن الحق القديم لا يبطله شيء . والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته (فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق) ^(٣٨) ولهذا نجد الناس قد اختلفت مواقفهم امام هذا الكلام ، فمنهم من انتقدوا وعارضوا (وهم جماعة الوليد بن عتبة) وهناك من عاتب الامام (ع) على ذلك (من أمثال طلحة والزبير) ، والمهم من هذا هو الدقة المتناهية في متابعة الحقوق المهذورة والأموال الضائعة ، بحيث تعهد بملاحقتها ومتابعتها لاستعادتها في الوقت نفسه نجد أن الدقة التي لا تكون إلا من إمام معصوم بحيث يتميز بين الأموال للنظام الذي سبقه ، فقد روي عن الامام (ع) في هذا الصدد (أنه لما بايعه الناس امر بكل ما كان في دار عثمان من مال وسلاح وكل ما كان من أموال المسلمين فقبضه وترك ما كان لعثمان ميراثا لورثته) ^(٣٩) وفي رواية المسعودي (قد انتزع املاكاً كانت لعثمان اقطعها جماعة من المسلمين وقسم م افي بيت المال على الناس ولم يفضل أحدا على أحد) ^(٤٠)

في مراجعة سريعة لهذه الروايات الثلاثة نجد أن الامام (ع) لم يتصرف تصرف الحاكم الذي يريد أن يستولي على بيت او قصر الحاكم السابق أو يستولي على أمواله ، أو ان تصادر أمواله على الأقل إلى بيت المال ، بل كان عادلا حتى مع عثمان فترك ماله ان تصادر أمواله على الأقل إلي بيت المال بل كان عادلا حتى مع عثمان فترك ماله وجعله ورثة لأهله ، ولو كان هنالك رجل غيره لأخذهما لنفسه او على اقل تقدير جعلها ملكا للدولة ، وأما في الرواية الثالثة لكان قد بدأ التقسيم بذويه واقاربه ومن يناصروه لحاكم إلا

(٣٨) الامام علي : الهمداني ص ٦٦٤ ج ١.

(٣٩) دعائم الإسلام : ٣٩٦/١ . ب ١ ، الجهاد ..

(٤٠) مروج الذهب : ٤/٢ .

إذا كان هذا التصرف قد صدر عن إمام ومعصوم الرابعة كان تصرف الامام هنا منتها العدالة التي قد لا تتحقق إلا على يد الامام المعصوم

المطلب الرابع: التأسيس لمبادئ الحقوق والحريات

من اجمل ما يسجل في مميزات الدولة العلوية هو التأسيس لمبادئ حقوق الانسان والحفاظ على حرياته كاملة في الوقت الذي لم يلتفت المنظرون والمفكرون إلا في وقت متأخر لهذه المطالب .

ونظرية الامام في هذا تبدأ من حيث تجب معليه حاكما وواليا فقابل الحقوق لكلا الطرفين (الراعي والرعية) بالازدواجية المثالية وهي مقابلة الحق بالواجب ، يقول الامام (ع) " أما بعد فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقا بولاية امركم ، ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم " ، ويبين صعوبة أداء الحق للآخرين وسهولة الادعاء به " فالحق أوسع الأشياء في التواصف واضيقها في التتاصف ، لا يجري لأحد إلا جرى عليه ، ولا يجري عليه إلا جرى له ، ولو كان لأحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه ، لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه ، ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه ، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوصف بما هو من المزيد اهله ... وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي ، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل ، فجعلها نظاما لأكفثهم وعزا لدينهم ... " ^(٤١) وهذه الخطبة طويله وفيها من المعاني ما يمكن استنتاجه في وصف الحقوق واعطائها أهميتها واكد الامام (ع) على تأمين الحريات التي بها تقام تلك الحقوق وتصان وتعالى حرا ، فما خير خيرا لا ينال بشر ، ويسرا لا ينال إلا العسر " ^(٤٢) ويقول (ع) " أيها النساء ... إن آدم لم يلد عبدا ، ولا امة ن وإن الناس كلهم أحرار " ^(٤٣)

(٤١) نهج البلاغة : (الخطب) ص ٢١٦ .

(٤٢) تحرر الحكم ، ودرر الكلم .

(٤٣) نهج السعادة : ١٩٨/١ .

والحريات التي يراها الامام (ع) أهمها الحريات السياسية ، قبل حرية الرأي " فلا تكفوا عن مقالة بحث ، أو مشورة بعدل " وقوله " ولا تظنوا بي استئقالا في حق قيل لي ، ولا التماس إعظام لنفسي ، فإنه من إستئقل الحق ان يقال له . او العدل ان يعرض عليه ، كان العمل بهما اثقل عليه " (٤٤) وأعطى الامام للمعارضة حقا في ابداء الرأي والاجتماع والتنظيم ولم يمنع عنهم العطاء ولا الفئ ، وهذا اعلى درجات الحرية .

المبحث الثالث : (السبل الإجرائية للإصلاح في دولة الامام "ع")

عمل الامام علي (ع) ان يكون الإصلاح فكرة وتطبيق، سياسات استراتيجية وواقع أني لا بد ان يجتمعا معا ليبقى منهج الامام (ع) في الإصلاح خالدا تستفيد منها الأمم والشعوب لتأخذ من هذه التجربة قدوة ومنهلا عذبا يغذي كل التجارب لمحاربة الفساد والظلم الذي تماره الأمم والشعوب فيكون على الثورات والحكومات اللاحقة لها ان تتصدى لمحاربة الفساد والقضاء عليه .

إن تجربة الامام في هذا المجال تتلخص في ميادين رئيسية يمكن ان تتفرع يمكن ان تتفرع عليها عدة محاور ، وهذه المحاور نذكر أهمها ، علما ان هنالك محاور أخرى يمكن ان تتفرع منها .

- ١- المحور السياسي والعسكري.
- ٢- المحور الاقتصادي والإداري .
- ٣- المحور القضائي والحقوقي .

المطلب الأول : المحور السياسي والعسكري

قدمنا هذا المحور بحسب الاستفادة من الوضع الراهن الذي تعيشه الدول العربية والإسلامية ، ففي اصلاح هذا الجانب تعيش الأمم في صلاح ويمكن التصالح بين حاجات الشعب وإمكانات الدولة وغمارة الدولة وفسادها تزداد الهوة وتكبر الحواجز بين الشعب وقادته .

تتجلى الإصلاحات السياسية للامام بالآتي :

١- اخلاق القائد : الصفات التي يتحلى بها الامام علي (ع) قد لا يتاح إلى انسان عادي ان يتجلى بها ، ولكن على كل من يريد أن يسوس الناس ويصبح حاكما عليهم ان يتحلى ولو بالمقدور والممكن منها ، يقول الامام (ع) " إن الواجب على المسلمين بعدما يموت إمامهم او يقتل... أن يختاروا لأنفسهم إماما عفيفا عالما عارفا بالقضاء والسنة " (٤٥) كما يقول أيضا "... إنه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وإمامة المسكين ، البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة " (٤٦) .

والامام كان يتجلى بكل الصدقات التي يمكن ان يتصف بها الأنبياء وهدم من العلم ، والعدل والحلم ، والحكمة ، والشجاعة ، و الرحمة ، والزهد وغيرها .

إنه اول حاكم يترك القصور ويجلس في مسجد ليحكم الناس ويأمر بالعدل بينهم متأسيا بالرسول الكريم (ص) ، فلا يسع عدل علي ولا حكمته إلا بيوت الله ، وزهده وورعه ، وتقواه التي تمنعه من أن يأكل او امين في وقت واحد ، ليعلم الحكام درسا ، ان القلوب لتقسوا إذا ما كثرت حولها النعم ، بالاكل والملبس والركوب والسكنى ، فلا يعود الحاكم يستشعر بفقر الفقراس من رعيته ، ونجاح الحاكم في أن يكون قريبا من الفقراء والايتام والارامل ، لأن النجاح في السياسة هو ان لا تكون بين الرعية نسبة كبيرة من المعوارين والفقراء والمحرومين.

٢- اعتماد بناء مبدأ الشورى الحقيقية ، بلا استبداد ولا خروج عن رأي المستشار وحرية ابداء الرأي للمستشارين ، ومراعاة الحقوق العامة الفطرية والمكتسبة لهم .

٣- حاكمية الناس: وهي حرية الناس في اختيار من يحكمهم إضافة إلى حقهم في عزله وتنحيته ، كما خضع الامام (ع) إلى آراء أصحابه في الظروف الصعبة والعادية وأدى ذلك إلى تزييف وحدة الجيش دون ان يرجع عن الاخذ برأيهم .

(٤٥) مستدرك وسائل الشيعة : ١٩/٦ و ١٢٣ .

(٤٦) نهج البلاغة ، بشر ح أبين ابي الحديد / ٨ / ٣٧٨ .

٤- الغرض من وجود الحاكم هو احقاق الحق وانصاف الناس والعدل بينهم وايصال الفئ لهم ولأطفالهم دون محاباة " وانه لابد للناس من امير..... ويبلغ الله فيه الاجل ويجمع به الفء ، ويقاثل به العدو . وتؤمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف حتى يستريح بر و يستراح من فاجر " (٤٧) .

٥- احقاق حق المعارضة في كل اضافها الكلام ، الفء ، التردد ، فقد ابتلى الامات بلات فئات من المعارضة ، وهم الناكثون * والمارقون ** والقاسطون *** ، فاعتمد على المحاجبة والمناظرة وعلى أعطائهم حقوقهم بان يدفع بالتي هي احسن والامثلة على ذلك في مواقفه مع طلحة والزبير ومروان بن الحكم والخوارج وغيرهم كثيرة لا تحصى .

أما في الجانب العسكري فقد تمثل نهج الامام (ع) في معاركه بالجانب الإنساني والديني والأخلاقي قبل ان يتمثل بالجانب القتالي وضعت هذه المواقف تبين الاتي (٤٨) :

١- عدم المبادأة بالقتال لأثبات الحجة على خصم ومها ما حصل في قتال الناكثين والقاسطين .

٢- إنتهاج كل الأساليب الممكنة من اجل كسب بعض عناصر الخصم إلى السلم .

٣- التورع عن إحراز النصر بوسائل غير صحيحة ، فلم يوافق على حس الماء على جيش معاوية ، رغم اتباع معاوية هذا الأسلوب مع جيش الامام علي (ع) .

٤- عدم إباحة أملاك الخصم ونسائه عند الانتصار ، والاقتصار على الغنائم العربية في ساحة المعركة.

٥- عدم قتل الجريح ، ولا الأسير ، ولا المُدْبِر ، ولا المُعْوِر ، وعدم الإساءة على النساء وإن شتمن الاعراض .

هذا هي اخلاق الامام علي (ع) التي تجلب في كنبه ورسائله وخطبه وسيرته بين الناس .

(٤٧) نهج البلاغة : شرح ابن ابي الحديد ١/٨٣ ط ١٩٦٣ .

* الذين بايعوه ثم نقضوا بيعته قبل أصحاب الجمل .

** الذين تمردوا عليه وهم أصحاب معاوية .

*** وهم الذين ظلموه وخرجوا عليه ، وهم أصحاب النهروان .

(٤٨) ط علي بن ابي طالب سلطة الحق : عزيز السيد جاسم ، تح وتعليق صادق جعفر الروازق ، دار الأبها رقم ،

المطلب الثاني: الإصلاح الإداري والاقتصادي

يعد صلاح الجانب الإداري والاقتصادي اهم ركيزة لرفع مستوى معيشة الافراد في أي دولة وخروجها من الفقر ، فالامام (ع) قد اهتم بهذا الجانب بتخليص الناس من الفقر ، يقول (ع) " الفقر منقصه للدين ، مدهشة للعقل ، داعية للمقت ... فالظلم يهلك القرى والأمم " ^(٤٩) ، لذلك تركز الجانب الاقتصادي على امرين كانا قد نتجا عن حكم عثمان وهما (٥٠)

١- الثروات غير المشروعة التي تكونت أيام عثمان .

٢- أسلوب توزيع العطاء التفضلي.

ولذلك تجلت محاولة الإصلاح للجانب المالي الناتج عن حكومة سابق أولا والتأسيس لأدارة جديدة تعتمد على مبادئ الإسلام وتعاليمه واحكام الرسول الكريم (ص) فتلخص هذه الاعمال بالآتي :

١- إعادة كل المال الذي أخذ بغير حق واعطي من لاحق لهم فيه فقال " ألا إن كل قطيعة اقتطعها عثمان ، ولك ما أعطاه من مال الله فهو مردود إلى بيت المال ، فإن الحق ^(٥١) القديم لا يبطله شيء والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته ...

٢- عدالة التوزيع للعطاء ، دون تفضيل لأحد " والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على احد وللمتقين عند الله احسن الجزاء " ^(٥٢)

٣- عزوف الحاكم وزهده عن الدنيا يجعله بعيدا عن الظلم والمحاباة لأهله ومن معه " يا صفراء غري غيري ، ويا بيضاء غري غيري " ^(٥٣) وليكتمل الإصلاح بدأ خطواته في أصلاح الجانب الإداري وذلك بعدة أمور نركز على أهمها :

(٤٩) نهج البلاغة : شرح محمد عبدة ٩٥/٢.

(٥٠) ظ الامام علي بن ابي طالب (ع) : أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام : عادل الاديبي ، مطبعة المغرب ، ط١- ٢٠١٣.

(٥١) الامام علي : الهمداني ٦٦٤/١.

(٥٢)

(٥٣)

١- الاستغناء عن خدمات قسمه من الولاة الذين كانوا يتولون أقاليم الدولة الإسلامية مبينا السبب بقوله " ولكي آسي ان يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا ، وعباده خولا ، والصالحين حربا ، والفاسقين حزبا ، فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام ، وخذل حدا في الإسلام ، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام إلى نصائح " (٥٤)

٢- اسناد الولاية إلى رجال من اهل الدين والصفة والحزم من أمثال عثمان بن حنيف على البصرة وسهل بن حنيف على الشام وقيس بن سعد بن عبادة على مصر وأبو موسى الأشعري على الكوفة .

٣- الحفاظ على بيت المال وعدم الاسلاف في الاخذ منه .

٤- الزهد الذي يعيشه قائد الدولة هو الذي يجعله القدوة لأن يمتنع الناس عن الاسلاف والبذخ في وقت تعيش فيه الدولة في عجز مالي وارتفاع نسبة الفقر وإزدياد عدد الارامل والايتام فيها ، ولعل الجانب التطبيقي هذا اكثر اثرا واكبر وقعا عند الناس .

٥- وإذا كان التقسيم للمال والمناصب قائم على أساس التساوي في حقوق المواطنة والكفاءة لتولي المناصب المهمة فإن الامام قد اهتم بتقسيم حكومته إلى ثلاث هيئات ، وهي: (التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية) ، ومن ثم فصل في مواصفات كل هيئة في إدارتها وصفات القادة لها .

٦- إعتد في تقسيمه السابق على حاجات الناس وحقوقهم التي كان يريد تأمينها لهم .

المطلب الثالث : الإصلاح القضائي

يمتلك التشريع الإسلامي اعظم نظام في مواجهة الجرائم بالإصلاح وليس فقط في العقوبة والدولة التي فيها قانون تحتاج إلى حاكم قوي وعادل لتطبيقها ، ولع دولة الامام (ع) احق الدول باتباع التشريع الإلهي وتنفيذ حكمه .

وأصلاحات الامام في هذا الجانب لها أهميتها نذكرها بإيجاز

- ١- المساواة بين الناس في حق التقاضي ورفع شكاوهم للقضاء والتأكيد على أهميتها في احقاق الحق للمستضعفين منهم .
- ٢- تحديده لصفات القاضي " القضاة ثلاثة : هالكان وناج ، فأما الهالكان فجائر جار متعمدا ، ومجتهداً خطأ ، والناجي من عمل بما امر الله به " (٥٥)
- ٣- الشروط التي اشترطها للقضاة كالعدالة ، والعلم ، والروايات فيها كثيرة .
- ٤- إبقاء القضاء نزيهاً وحيادياً .
- ٥- تفتني الجرائم وعقوباتها وإقامة الحدود المعطلة أو التي كانت تقام على الفقير وتمنع من المتنفيين والاغنياء .
- ٦- تطوير القضاء وجعل له آداب لا يتجاوز عليها احد ، في الجلوس وحضور الشهود وطرفي الدعوى وغيرها من الآداب المتبعة.
- ٧- عرض القوانين والاحكام على الشريعة وعدم امضاء أي حكم يخالف الشريعة الإسلامية وأحكامها .

الخاتمة

بعد هذا العرض يمكن أن نوجز أهم النتائج التي توصل لها البحث :

- ١- ، تجربة الإصلاح التي قادها الإمام (ع) في تقويم وتصحيح مسار الدولة الإسلامية ، لم يقابلها أي حركة إصلاحية في كل العالم وعلى مر التاريخ ، كونها التجربة الوحيدة الخالية من أي عنف او استخدام للقوة .
- ٢- لا يتم الإصلاح إلا بوجود عدالة ووجود حرية ومساواة ووتعزيز مفاهيم حقوق الإنسان .
- ٣- إذا كان الإمام (ع) معصوماً في أقواله وأفعاله ، يمكن أن تنهل منه الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم ، لأن الإمام يسير على نهج الرسول الكريم (ص) الذي أرسله الله رحمة للعالمين .
- ٤- إن الإصلاح في أي أمة يمكن ان يتحقق إذا توفرت لها إرادة حقيقية تريد أن تحقق هذا الإصلاح .
- ٥- إن أهم ما يجب توفره في التصحيح والتقويم هو قيادة تمتلك الحكمة والقوة ، لأن الأمم بقادتها .

٦- يجب الإستفادة من تجارب الأمم السابقة في خيرها وشرها ، لذلك على كل الأمة الإسلامية أن تسير بما أمر الله به والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يجلب الدمار لأمة الإسلام.

ثبت المصادر

خير ما نبدأ به القرآن الكريم

- ارهاب الدولة في الفكر الإسلامي ، للباحثة ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الفقه / جامعة الكوفة ، ٢٠١١
- الإصابة في معرفة الصحابة : الذهبي ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ - ١٤١٥ هـ.
- الأغاني : أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ت ٣٥٦ هـ ، شرح عبد الله علي مهنا وسمير جابر ، دار الكتب العلمية - بيروت / ط ٤ - ١٤٢٢ - ٢٠٠٢ .
- الامام علي : الهمداني .
- الامام علي بن ابي طالب (ع) : أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام : عادل الاديب ، مطبعة المغرب ، ط ١ - ٢٠١٣ .
- أهل البيت : عبد الحميد السحار .
- البداية والنهاية : ابن كثير طبعة - بيروت ، ط ٥ - ١٩٨٥ .
- تاريخ ابن خلدون : مؤسسة الأعلمي - بيروت ط ١ - ١٩٧١ ، .
- " تاريخ الطبري " تاريخ الأمم والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ٢
- غرر الحكم ودرر الكلم : عبد الواحد الأمدي التميمي ، منشورات دار الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٨٧ م
- تهذيب تاريخ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر،الدمشقي (ت: ٥٧١هـ) ، هذبه ورتبه: عبد القادر مصطفى، مطبعة الترقى، دمشق ١٣٤٩ هـ .
- دراسات في نهج البلاغة : محمد مهدي شمس الدين.
- دعائم الإسلام : أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي ت ٣٦٣هـ، آل البيت لإحياء التراث - قم .
- الدولة الإسلامية بين النظرية والتطبيق :د. كامل النجار ، تالة للطباعة والنشر ، طرابلس ، ط ١ - ٢٠٠٧ ،
- شرح أصول الكافي والروضة :محمد صالح المازندراني ت ١٠٨١ هـ ، المكتبة الإسلامية - طهران ، ١٣٨٧ .

- الطبقات الكبرى :محمد بن سعد بن منيع ابن سعد الهاشمي البصري (٢٣٠ هـ) ، دراسة وتح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٩٧
- عبقرية الإمام : عباس محمود العقاد ، ط -القاهرة
- علي بن ابي طالب سلطة الحق : عزيز السيد جاسم ، تح وتعليق صادق جعفر الروازق ، دار الأبها رقم ، ط١- ٢٠٠٧ هـ
- الفتنة الكبرى(عثمان): طه حسين ،دار المعارف/ مصر.
- قاموس التراث : هادي العلوي ، الأهالي - دمشق ، ط٣ - ١٩٨٨ .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ت٩٧٥ هـ ، تح محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ + ط دار الرسالة - بيروت وسوريا
- لمحات من الصراع السياسي في الإسلام العهد الأموي : د. محمد بحر العلوم ، دار الزهراء - بيروت ، ط١ - ٢٠٠٧ ،
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ بتحريه العراقي وابن حجر ، مكتبة القدسي - القاهرة ، ١٣٥٢ هـ
- مروج الذهب :علي بن الحسين المسعودي ت٣٤٦ هـ ، المكتبة الإسلامية - بيروت
- المستدرك على الصحيحين :أبو عبد الله النيسابوري "الحاكم" ت ٤٠٥ هـ ،دار الفكر - بيروت
- مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل : حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي ت ١٣٢٠ هـ : تح ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم ، ط٢ - ١٤٠٨ هـ
- الملل والنحل : ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ،المكتبة العصرية - بيروت ، ٢٠٠٣
- مهزلة العقل البشري : د : علي الوردي ، ط .
- شرح نهج البلاغة لإمام علي بن أبي طالب ، . ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ) ، دار إحياء الكتب العربية
- نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة .